من هو المُختَلَق، الشيعة أم الوهابية؟

● فيصل العلياوى

يقع الكلام في هذا الموضوع في مباحث:

الأوّل: التعريف بالشيعة

١ - تعريف الشيعة لغةً:

عُرفت الشيعة في اللغة: بأنّهم قومٌ يتشيّعون، أي: يهوون أهواء قوم ويتابعونهم. وشيعة الرجل: أصحابه وأتباعه، وكلّ قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وأصنافهم: شيع. قال الله تعالى: (كما فعل بأشياعهم من قبل)أي:بأمثالهم من الشيع الماضية. وشيّعت فلاناً إذا خرجت معه لتودعه و تبلغه منزله[١].

وقال ابن الأثير: وأصل الشيعة الفرقة من الناس، وتقع على الواحد والاثنين والجمع، والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على كلّ من يزعم أنّه يتولى علياً وأهل بيته (عليهم السلام)، حتى صار لهم إسماً خاصاً، فإذا قيل فلان من

---

١. كتاب العين للخليل الفراهيدى: ٢/ ١٩١.

الشيعة عرف أنّه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا: أي عندهم. وتجمع الشيعة على شيع[1].

٢- إطلالة على المذهب الشيعي:

مذهب الإماميّة: هو أقدم المذاهب الإسلاميّة الكلاميّة الفقهيّة، يرجع في انتمائه العقيدي والفكري إلى أئمّة أهل البيت (ع) الإثني عشرية: عليّ بن أبي طالب، الحسن بن علي، الحسين بن علي، علي بن الحسين زين العابدين، محمّد بن علي الباقر، جعفر بن محمّد الصادق، موسى بن جعفر الكاظم، علي بن موسى الرضا، محمّد بن علي الجواد، علي بن محمّد الهادي، الحسن بن علي العسكري، والحجة بن الحسن المهدي (عليهم السلام).

وبه سمّي بالإمامي وأتباعه بالإماميّة، وقد سمّي بالمذهب الجعفري نسبة إلى الإمام السادس من أئمّة أهل البيت (ع)، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق (ع) المتوفّى سنة ١٤٨هـ ، وذلك لوفرة عطائه الفكري بالنسبة إلى باقي الأئمّة من أهل البيت (ع) ، و لأنّه عاش فترة انطلاق الفكر الكلامي، والخلافات الفكرية في المفاهيم العقيدية وشؤونها الأخرى، و بروز أعلام الفكر الكلامي ومدارسه الأوّلى، كالجبرية والمعتزلة، وفترة توسع الفكري الفقهي، وظهور أصحاب المذاهب الفقهيّة أمثال: مالك بن أنس، وأبي حنيفة؛ حيث كان المسلمون آنذاك يتمايزون بالانتماء، فيقال: هذا من أتباع المذهب الكلامي المعين، و المذهب الفقهي المعين[2].

روي عن أبي حنيفة أنّه قال: ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمّد، لمّا أقدمه

تمتاز مدرسة أهل البيت(ع) على مدرسة الخلفاء بأنّها لا تعتبر أي كتاب عدا كتاب الله من أوّله إلى آخره صحيحاً، ولا تقلّد أي واحد من السلف الصالح من العلماء في ما اتخذه من رأي فقهي أو ما اعتبره صَحيحاً من حديث مروي، خلافاً لما عليه مدرسة الخلفاء من تقليدهم العلماء الأربعة في الفقه وسدهم باب الاجتهاد على غيرهم إلى يومنا هذا،

١. النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير: ٢/ ٥١٩.

٢. المذاهب الإسلامية الخمسة تاريخ وتوثيق (الإمامي و الحنفي و المالكي والشافعي و الحنبلي) المذهب الإمامى الدكتور عبد الهادي الفضلي، ص ٩.

المنصور الحيرة، بعث إليّ فقال: يا أبا حنيفة إنَّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمّد، فهيّئ له من مسائلك تلك الصعاب، قال: فهيّأتُ له أربعين مسألة، ثمّ بعث إليّ أبو جعفر، فأتيته بالحيرة، فدخلت عليه و جعفر جالس عن يمينه، فلمّا بصرت بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلّمت و إذن لي فجلست ثم التفت إلى جعفر، فقال: يا أبا عبد الله تعرف هذا، قال: نعم هذا أبو حنيفة، ثمّ اتبعها قد أتانا، ثمَّ قال: يا أبا حنيفة هات مسائلك فسأل أبا عبد الله و ابتدأت اسأله، وكان يقول: في المسألة أنتم تقولون فيها كذا و كذا وأهل المدينة يقولون: كذا وكذا، ونحن نقول: كذا وكذا فربّما تابعنا وربّما تابع أهل المدينة، وربّما اختلفنا جميعاً، حتى أتيت على أربعين مسألة ما أخرم منها مسالة، ثمَّ قال أبو حنيفة: أليس قد روينا أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس[1].

وذُكر في مختصر التحفة الإثني عشرية: لولا السنتان لهلك النعمان[2] يعني: السنتين اللتين نهل فيهما أبو حنيفة من بحر علم الإمام الصادق (ع).

وقال الحافظ شمس الدين الجزري: وثبت عندنا أنّ كلّاً من الإمام مالك، وأبي حنيفة رحمهما الله تعالى، صحب الإمام أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق، حتى قال أبو حنيفة: ما رأيت أفقه منه، وقد دخلني منه من الهيبة ما لم يدخلني من المنصور[3].

وعلّق الإمام أحمد بن حنبل على سند فيه الإمام علي الرضا، عن أبيه موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمّد الباقر، عن أبيه علي زين العابدين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب، عن الرسول الأكرم (ص) قائلاً: لو

١. تهذيب الكامل يوسف بن عبد الرحمن أبو الحجاج المزني، ج٥، ص ٧٩.

٢. مختصر التحفة الإثني عشرية محمود شكري الآلوسي، ص ٩.

٣. اسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب، محمّد بن محمّد شمس الدين الجزري، ص ٥٥.

قرأت[1] هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنته[2]. ولله درّ الإمام الشافعي حيث قال:

ولمّا رأيتُ الناسَ قَدْ ذَهَبتْ بِهِمْ ... مذاهبُهم في أبْحِرِ الغيِّ والجَهلِ
ركبتُ على اسمِ اللهِ في سفنِ النجا ... و همْ أهلُ بيتِ المُصطفَى خاتمِ الرسلِ
وأمسكتُ حبْلَ اللهِ وهوْ ولاؤهم ... كما قدْ أُمرْنا بالتَمسُّكِ بالحَبْلِ
إذا افْتَرَقَتْ في الدِينِ سبعُونَ فرقةٍ ... ونيفٌ كما قد جاءَ في مُحكَمَ النقلِ
ولم يك ناجٍ مِنهُمُ غَيْرَ فِرْقةٍ ... فَقُل لي بِها يَاذا الرجَاحَة والعَقْلِ
أفي الفرقةِ الهلاكِ آل محمّد ... أمَ الفرقةِ اللاتي نَجتْ منِهمُ؟ قُلْ لَي
فانْ قُلتَ فِي النّاجينَ فالقَولُ واحدٌ ... وإن قُلتَ في الهلاكِ حُدتَ عنِ العدْلِ
إذا كَان مَولى القومَ مَنهم فإنّني ... رَضيتُ بِهِمْ لا زالَ فِي ظلِّهِمْ ظلِّي
فَخَلِّ عليّاً ليْ إماماً وَنَسلَهُ ... وأنتَ منْ الباقينَ في أوسَعِ الحِلِّ[3]

فمن خلال ما تقدم يظهر جليّاً أن منشاء مذهب أهل البيت (ع) أقدم المذاهب حيث إنّ أئمّة المذاهب الأخرى تتلمذوا على أيادي أئمّة الهدى من آل محمّد(ص) وإن خالفوهم في الرأي وأخذوا بالقياس وأصبحوا بعيدين عن منهج أئمّة الهدى (ع).

٣- مصادر التشريع عند المذهب الإمامي:

إنَّ مصادر التشريع التي ينهل فقهاء الإمامية من نميرها لاستنباط الأحكام الشرعية ويفتون على ضوئها، هي أربعة، الكتاب، السنة، الإجماع و العقل.

قال المحقق الكركي:فأقول: الطريق الموصلة إلى الأحكام ـ عندنا ـ أربعة: الكتاب ، والسنّة ـ متواترة وآحاداً ـ والإجماع، وأدلة العقل. أمّا الكتاب ففيه نص وظاهر، وهما معا دليلان.ويحتاج في ذلك إلى معرفة دلالات الألفاظ، والمحكم والمتشابه، والحقيقة

---

١. و فى بعض الكتب (قرى).

٢. الصواعق المحرقة، أحمد بن محمّد ابن حجر الهيتمي، ص ٣١٠.

٣. خلاصة عبقات الأنوار، حامد حسين النقوي، ج٤، ص ٢٩. لماذا اخترت مذهب أهل البيت، الشيخ محمّد مرعى الإنطاكي، ص ٥٩. تقوية الإيمان، محمّد بن عقيل، ص٢٧. مع رجال الفكر في القاهرة، السيد مرتضى الرضوي، ج١، ص ٣٩٤.

والمجاز، والأمر والنهي، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والظاهر والمؤوّل، والناسخ والمنسوخ...وبالنسبة إلى الجزئيات المستنبطة يراجع الآيات المشهورة (بالخمس مئة) التي هي مدار الفقه. وأما السنة: فيحتاج الاستنباط منها، ومعرفة دلالتها على الأحكام إلى معرفة عوارض الألفاظ المذكورة، فالمتواتر منها طريق ضروري.

والآحاد، إمّا مشهور هو: ما زاد رواته على الثلاثة، ويسمى المستفيض، وحكمه كالمتواتر في وجوب العمل...، وإمّا غير المشهور وهو أصحابنا أربعة (صحيح، موثق،ضعيف)... فإذا تعارض هذه الأخبار قدّم الصحيح، فإذا لم يكن فالحسن وبعده الموثق ولا يعمل بالضعيف. وكيفية معرفة هذه الصفات بمراجعة الروايات والاطلاع على أحوال رجالها. أمّا الإجماع: فلابدّ فيه من معرفة شرائطه وأحكامه على ما بحث فيه أهل الأصول. وأمّا أدلة العقل فأقول: أمّا أدلة المنطوق ثم تتبعها دلالة مفهوم الموافقة، وبعدها مفهوم المخالفة عل القول بالعمل بدليل الخطاب، و منها: البراءة الأصلية، يعتمد عليها ما لم يجد ما ينقل عنها من الأدلة السمعية. و منها:

الاستصحاب على القول بحجيته ـ «المراد من الاستصحاب هنا ليس هو لاستصحاب الاصطلاحي، بل هو استصحاب حال العقل»، فإنّه يستصحب الحال الأوّل ما لم يجد من الأدلة ما تحيل عنه.

و منها: اتحاد طريق المسألتين، وهو فرع من فروع الاستصحاب، يخالفه في بعض الأحكام (كما هو) مقرر في الأصول.

و منها: تعدية الحكم من المنطوق إلى المسكوت الذي هو القياس، وقد وقع فيه الخلاف، فمتقدمو أصحابنا لا يعملون بشيء منه، والمتأخرون عملوا بما نص على علّة حكم الأصل، إمّا بنص، أو إيماء، على ما تقرر في الأصول... ودليلنا على العمل بهذه الأدلة ما روي صحيحاً عن الصادق(ع)، رواه الشيخ المقداد في (تنقيحه): إنّه قال: «علينا أن نلقي

إليكم الأصول وعليكم أن تفرعوا» وهو دليل على وجوب الاجتهاد أيضاً[1].

٤- تقييم الكتب الحديثية للشيعة و يمكن تلخيص الكلام فيه كالتالي:

إنّ أوّل من دوّن الحديث عند الشيعة هو الإمام علي(ع) حيث دوّن ما أملاه عليه رسول الله(ص) في كتب، منها: الجامعة التي كان طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم ما على الأرض شي يحتاج إليه الناس من أحكام الإسلام إلاّ وهو فيه.

ثم توارث الأئمّة من ولده (عليهم السلام) كتبه ورووا منها عن رسول الله (ص) لتلاميذهم، ودوّنها من أصحابهم من دوّن ما سمعه في رسائل صغار، وكان الشيخ الكليني(ت:٣٢٩ هـ) أوّل من ألف بمدرسة أهل البيت(ع) موسوعة حديثية عامّة جمع فيها ما أمكنه من تلكم الرسائل، ثم تلاه الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) وألف كذلك مدينة العلم وهي مفقودة على أثر حرق كتب أتباع مدرسة أهل البيت(ع) ومكتباتهم ومطاردتهم وتشريدهم. وختم تأليف الموسوعات الحديثية العامّة بمدرسة أهل البيت بموسوعة العلّامة المجلسي(ت: ١١١١ هـ) في الحديث وهو البحار، والعوالم للبحراني (من تلامذة المجلسي) واهتم علماء مدرسة أهل البيت بأحاديث الأحكام وعنوا بها عناية فائقة. وكان الشيخ الصدوق أوّل من ألف موسوعة فقهية من الحديث سمّاها «من لا يحضره الفقيه»، وتلاه في ذلك الشيخ الطوسي(ت:٤٦٠هـ) وألف «الاستبصار» و«التهذيب». ثم اشتهر الكافي ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب والاستبصار من الموسوعات الحديثية اشتهاراً واسعاً، على أنّ الذي ألف بعدها جاء أوسع منها وأفضل تبويباً مثل الوسائل للشيخ الحر العاملي(ت: ١١٠٤ هـ) وجامع أحاديث الشيعة للسيد حسين بن علي البروجردي (ت:١٣٨٠). وهذا الأخير أكثر إتقاناً وشمولاً من كلّ ما سبقه غير أنّ الفضل للمتقدم[2].

---

١. نقلاً عن رسائل الكركي، ج٣، ص ٤٠-٤٩.

٢. راجع: معالم المدرستين: ج٣، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

٥- امتيازات مدرسة أهل البيت(ع):

تمتاز مدرسة أهل البيت(ع) على مدرسة الخلفاء بأنّها لا تعتبر أي كتاب عدا كتاب الله من أوّله إلى آخره صحيحاً، ولا تقلّد أي واحد من السلف الصالح من العلماء في ما اتخذه من رأي فقهي أو ما اعتبره صَحيحاً من حديث مروي، خلافاً لما عليه مدرسة الخلفاء من تقليدهم العلماء الأربعة في الفقه وسدهم باب الاجتهاد على غيرهم إلى يومنا هذا، وكذلك اعتبارهم ما ورد في الكتب الستة من الحديث صحيحاً وخاصّة ما في صحيحي مسلم والبخاري وسدّهم بذلك باب البحث العلمي في دراية الحديث على أنفسهم إلى اليوم.

٦- علماء الشيعة :

وقد حبا الله مذهب الإماميّة بعلماء كثر ذادوا عن حياض الشريعة طيلة القرون السالفة وكانوا ممدوحين حتى من قبل الخصوم، نشير إلى بعض بنحو الاختصار لا الحصر:

١. **جابر بن يزيد الجعفي**: وقد اتّفق القاصي والداني على وثاقة هذا الرجل الجليل فقد ذكر صاحب ميزان الاعتدال: أنّه أحد علماء الشيعة. له عن أبي الطفيل والشعبي وخلق. وعنه شعبة، وأبو عوانة، وعدة. قال ابن مهدي، عن سفيان: كان جابر الجعفي ورعا في الحديث، ما رأيت أورع منه في الحديث. وقال شعبة: صدوق. وقال يحيى بن أبى بكير، عن شعبة: كان جابر إذا قال: أخبرنا، وحدثنا، وسمعت - فهو من أوثق الناس. وقال وكيع: ما شككتم في شيء فلا تشكوا أنّ جابراً الجعفي ثقة. وقال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: قال سفيان الثوري لشعبة: لئن تكلّمت في جابر الجعفي لاتكلّمن فيك[١].

٢. **السيد محسن الحكيم، محسن بن مهدي بن صالح بن أحمد الطباطبائي الحكيم**: مجتهد إمامي، نعت بالمرجع الشيعي الأعلى. ولد في بلدة بنت جبيل (بلبنان) وتعلم ونشأ في النجف. وكان أمين سر القيادة في ثورة العراق على البريطانيين (سنة١٩٣٨) قبل أن

[١]. ميزان الاعتدال، ج١، ص ٣٧٩.

يكون المرجع الأعلى. وصنف كتباً قيل: ٥٠ مؤلفاً أجلها «مستمسك العروة الوثقى» وتوضيح المسائل، وحقائق الأصول، ودليل الناسك في المناسك. ومن أعماله تأسيس المكتبة المعروفة باسم مكتبة آية الله الحكيم العامّة في النجف. وهو أوّل من أسس مكتبة عامّة فيها. وأنشأ لها فروعاً في العراق وأندونيسيا وسورية ولبنان. وتوفي ببغداد ودفن بالنجف[1]. وهذان نموذجان لعلماء المهذب الحق وغيرهم الكثير ولم يداهنوا الظالم والمحتل على ما عليه علماء الوهابية كما سترى.

ثانياً: التعريف بالوهابيه

١- من هم الوهابية؟

الوهابية: وهم أتباع محمّد بن عبدالوهاب(١١١٥- ١٢٠٦) ابن سليمان النجدي رئيس الحنابلة بها[2]. وقد تفرعت الوهابية أتباع محمّد بن عبد الوهاب(ت: ١٢٠٦ هـ) والسلفية أتباع ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٦ هـ) من الحنابلة و هم أتباع الإمام أحمد بن حنبل[3]. ولهذا يمكن أنَّ يقال إنَّ أوّل من أسس الوهابية هو ابن تيمية وأوّل من وضع حجر الأساس لها أحمد بن حنبل. وابتداء ظهور محمّد بن عبدالوهاب هذا كان سنة ١١٤٣هـ و إنّما أشتهر أمره بعد الخمسين فأظهر عقيدته الزائغة والزائغة في نجد وساعده علي إظهارها محمّد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب مجبرا أهلها على متابعة ابن عبد الوهاب، فتابعوه وما زال ينخدع له في هذا الأمر حي بعد حي من أحياء العرب حتى عمّت فتنته وكبرت شهرته واستفحل أمره فخافته البادية وكان يقول للناس ما أدعوكم إلّا إلى التوحيد وترك الشرك بالله تعالى في عبادته

---

١. الأعلام، الزركلى، ج٥، ص ٢٩٠.

٢. الذريعة: ج١٠، ص٢٣٥.

٣. انظر: معالم المدرستين:ج ٣، ص٢٧٨. والأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل:ج ١، ص٢١٣ ـ ٢١٤.

وكانوا يمشون خلفه حيثما مشى حتى اتسع له الملك، أمّا ولادته فقد كانت سنة١١١١هـ وتوفي سنة ١٢٠٧هـ وكان في ابتداء أمره من طلبة العلم يتردد على مكة والمدينة لأخذه عن علمائهما وممن أخذ عنه في المدينة الشيخ محمّد بن سليمان الكردي والشيخ محمّد حياة السندي، وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من المشايخ الذين أخذ عنهم يتفرسون فيه الغواية والإلحاد و يقولون سيُضّل الله تعالى هذا، ويُضلُّ به من أشقاه من عباده، فكان الأمر كذلك. وقد ألف أخوه الشيخ سليمان كتاباً في الردّ على ما أحدثه من البدع والعقائد الزائغة. وكان محمّد هذا بادئ بدئه كما ذكره بعض كبار المؤلفين مولعاً بمطالعة أخبار من ادّعي النبوّة كاذباً كمسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي وطليحة الأسدي وأضرابهم فكان يضمر في نفسه دعوى النبوّة إلّا أنّه لم يتمكن من إظهارها، و كان يسمي جماعته من أهل بلده الأنصار ويسمي متابعيه من الخارج المهاجرين. وكان يصرح بتكفير الأمّة منذ ستمائة سنة، ويكفّر كلّ من لا يتبعه وإن كان من أتقى المسلمين ويسميهم مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم ويثبت الإيمان لمن اتّبعه وإن كان من أفسق الناس. وكان ـ عليه ما يستحق من الله ـ ينتقص النبي (ص) كثيراً بعبارات مختلفة منها قوله فيه إنّه (طارش) وهو في لغة العامة بمعنى الشخص الذي يرسله أحد إلى غيره والعوام لا يستعملون هذه الكلمة فيمن به حرمة عندهم. ومنها قوله: إني نظرت في قصّة الحديبية فوجدت فيها كذا وكذا من الكذب إلى غير ذلك من الألفاظ الاستخفافية، حتى أنّ بعض أتباعه يقول بحضرته إن عصاي هذه خير من محمّد لأنّي انتفع بها ومحمّد قد مات فلم يبق فيه نفع وهو يرضي بكلامه وهذا كما تعلم كفر في المذاهب الأربعة. ومنها: أنّه كان يكره الصلاة على النبي (ص) وينهى عن ذكرها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنابر ويعاقب من يفعل ذلك عقاباً شديداً حتى أنّه قتل رجلاً أعمي مؤذناً لم ينته عمّا أمره بتركه من ذكر الصلاة على النبي (ص) بعد الأذان ويلبس على أتباعه قائلاً إن ذلك كلّه محافظة على التوحيد.

وكان قد أحرق كثيراً من كتب الصلاة على النبي (ص) كدلائل الخيرات وغيرها[1] وكذلك أحرق كثيراً من كتب الفقه والتفسير والحديث ممّا هو مخالف لأباطيله. وعن معاذ بن جبل أنّ النبي (ص) قال: «أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث رجل قرأ كتاب الله حتى إذا رأيت عليه بهجة وكان عليه رداء الإسلام أعاره الله إيّاه اخترط سيفه وضرب به جاره ورماه بالشرك قيل يا رسول الله الرامي أحق بها أم المرمي؟ قال : الرامي ورجل أتاه الله سلطانا فقال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله وكذب ليس لخليفة أن يكون جنة دون الخالق ورجل استخفته الأحاديث كلّما قطع أحدوثة حدث بأطول منها أن يدرك الدجال يتبعه»[2] فهذا الحديث صادق على ابن عبد الوهاب وأتباعه، ويظهر من أقواله وأفعاله أنّه كان يدعي أنّ ما أتي به دين جديد، ولذلك لم يقبل من دين النبي (ص) إلّا القرآن، وقبوله إيّاه إنّما كان ظاهرا فقط كيلا يعلم الناس حقيقة أمره، والدليل على ذلك أنه، هو وأتباعه كانوا يؤولون القرآن بحسب أهوائهم لا بحسب ما فسّره النبي (ص) وأصحابه والسلف الصالح وأئمّة التفسير، وما كان يقول بأحاديث النبي وأقاويل الصحابة والتابعين والأئمّة المجتهدين، ولا بما استنبطه الأئمّة من الكتاب والسنّة ولا يأخذ بالإجماع ولا القياس الصحيح، وكان يدعي الانتساب إلى مذهب الإمام أحمد كذباً وتستراً، وقد ردّ عليه أضاليله كثير من علماء الحنابلة، وألفوا في ذلك رسائل عديدة.

وقد أقدم محمّد بن عبدالوهاب عليقتل كثير من العلماء والصالحين لأنّهم لم يوافقوه على آرائه و ما ابتدعه.

---

١. انظر: الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، لسليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان النجدي، ص ٥٣ وما بعدها، حيث إنّ الكاتب لم ينكر هذه الامور، بل حأوّل توجيهها بما يتلائم مع مذهبه في الدفاع عن إمامه الضال.

٢. المعجم الكبير، للطبرانى، ج ٢٠، ص ٨٨.

قال العّلامة السيد العلوي الحداد: إنّ المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الإسلامية لما أنّه يستحل أموراً مجمعاً على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ وهو مع ذلك ينتقص الأنبياء والمرسلين والأوّلياء والصالحين[1].

وكان ابن عبد الوهاب يأمر بحلق رؤس النساء أيضا ممن اتبعنه، وفي مرة أمر امرأة دخلت في دينه أن تحلق رأسها فقالت له: لو أمرت بحلق اللحى للرجال لساغ أن تأمر بحلق رؤس النساء فإن شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجال؟ فلم يجد لها جواباً[2]. فمن هذا تبيّن أنّ هذه الفرقة مُختلقة وليس لها أصل في الدين.

٢- مصادر التشريع عند الوهابية

تقدم أنّ الوهابية فرقة انشقّت عن الحنابلة لذا هم فيما يتعلق بمصادر التشريع والاعتقاد لا يختلفون عنهم إلّا بأمور تفرد بها ابن تيمية وتبعه فيها محمّد بن عبد الوهاب. لذا فمصادر التشريع عندهم على ما ذكرها ابن القيم الجوزية هي:

الأوّل: النصوص، فإذا وجد النص أفتى بموجبه ولم يلتفت إلى ما خلفه، ولذلك قدم النص على فتاوى الصحابة.

الثاني: ما أفتى به الصحابة ولا يعلم مخالفاً فيه، فإذا وجد لبعضهم فتوى، ولم يعرف مخالفاً لها لم يعد إلى غيرها، ولم يقل إنّ ذلك اجتماع، بل يقول من ورعه في التعبير: لا أعلم شيئا يدفعه.

الثالث: أنّه إذا اختلف الصحابة تخيّر من أقوالهم أقربها إلى الكتاب والسنّة ولم يخرج عن أقوالهم، فإن لم يتبيّن له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف، ولم يجزم بقول.

الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، وهو الذي رجّحه على القياس.

---

١. أُنظر: الدرر السنية في الردِّ على الوهابية طبع المطبعة الميمنية بمصر عام ١٣١٩هـ وأعيد طبعه في استانبول تركية بالأوفست عام ١٩٨٦ م.

٢. الفجر الصادق، الجميل صدقي الزهاوي: ١٦-٢١.

الخامس: إذا لم يكن عند الإمام أحمد في المسألة نصّ، ولا قول الصحابة أو واحد منهم، ولا أثر مرسل أو ضعيف، ذهب إلى القياس فاستعمله للضرورة، وقد نقل الخلال عن أحمد أنّه قال: سألت الشافعي عن القياس فقال: إنّما يصار إليه عند الضرورة[1].

٣- تقييم الكتب الحديثية عند الوهابية

قام الخلفاء الأوائل بمنع نشر حديث الرسول(ص) و نهوا المسلمين عن كتابته واستمر هذا المنع حتى عصر عمر بن عبد العزيز حين رفع الحضر عن تدوين حديث الرسول(ص) وأمر به، فتسابق محدثوا مدرستهم بتدوين ما كان متداولاً بينهم من الحديث وألفوا مختلف كتب الحديث، ثم اشتهر عندهم الكتب الستة الآتية بالصحاح:

أ - صحيح البخاري، تأليف محمّد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ).

ب - صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ).

ج- سنن ابن ماجة، تأليف محمّد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٣هـ).

د - سنن أبي داود تأليف سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ).

هـ - سنن الترمذي تأليف محمّد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ).

و - سنن النسائي تأليف أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٢٠٣هـ). وبعضهم ذكر بدلاً عن سنن النسائي، سنن الدارمي تأليف عبد الله بن عبد الرحمن (ت: ٢٥٥هـ) من الصحاح الستة. وكان نتيجة ذلك أنّ علماء مدرسة الخلفاء بتقليدهم العلماء الستة في تقييم الحديث، أو صدوا باب البحث العلمي في تمحيص الأحاديث على مدرسة الخلفاء وقلّدوا العلماء الستة المذكورين خاصة البخاري ومسلم حتى اليوم[2].

والغريب أنّهم يعتبرون كلما جاء في البخاري و مسلم صحيحاً و لا يمكن النقاش فيه،

---

١. أعلام الموقعين، ابن القيم الجوزية، ص ٢٢-٢٦

٢. معالم المدرستين:ج ٣، ص٢٧٧-٢٧٨

ويشاركهم في هذه الكتب أهل السنّة والجماعة، وينفردون عنهم بما يلي:

١- كتب ابن تيمية

٢- كتب محمّد بن عبد الوهاب، و عليها المعول عندهم.

٤- علماء الوهابية:

ويعتمد الوهابية في جميع أمورهم على كتب بعض العلماء المهمين عندهم كما قدمنا منهم:

١- ابن تيمية الحراني عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، أبو محمّد، وقيل أبو المحاسن الحراني الحنبلي، أحد علماء الحنابلة. ولد بحران في ثاني عشر شوال سنة سبع وعشرين وستمائة، وسمع من عماد ابن منيع، ... وتفقه وبرع في الفقه، وتميز في عدّة فنون من الفضائل، ودرس ببلده وأفتى و خطب ووعظ و فسّر، و تولّى هذه المناصب عقيب موت والده، وعمره خمس وعشرون سنة إلى أن نزح عن البلد وهاجر إلى دمشق واستوطنها، بعد استيلاء التتار على حران[1].

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة ابن تيمية: إنّ يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث فيورد في ساعة من الكتاب والسنَّة واللغة والنظر ما لا يقدر أحد أن يورده في عدّة مجالس، كأنّ هذه العلوم بين عينيه ، فيأخذ منها ما يشاء ويذر، ومن ثمَّ نسب أصحابه إلى الغلو فيه، واقتضى له ذلك العُجب بنفسه، حتى زها على أبناء جنسه، واستشعر أنه مجتهد فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم، قويهم وحديثهم حتى انتهى إلى عمر فخطأه في شيء... وقال في حقِّ علي أخطأ في سبعة عشر شيئاً خالف فيها نص الكتاب[2].

١. المنهل الصافى، لابن تغرى بردى: ج٢، ص٩٢.

٢. الدرر الكامنة لابن حجر: ج١، ص١٤٤.

٢- محمّد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمّد بن أحمد...[١] ولد سنة ألف ومائة و خمس عشرة (١١١٥هـ)، من هجرة المصطفى، في بلدة العيينة على الصحيح[٢].
والصحيح انّه ليس من تميم كما ادّعى صاحب كتاب علماء نجد، بل هو من أصل تركي فقد روي أن سليمان جدّه كان اسمه الحقيقي شولمان قرقوزي (أي بائع البطيخ) من يهود الدونمة، خرج من بلدة بورصة بتركيا، مع زوجته إلى بلاد الشام، فأصبح اسمه سليمان بن علي، واستقر في ضاحية (دوما) في دمشق، وأخذ يتاجر بالدين هذه المرة لا بالبطيخ، فاكتشفه أهالي سوريا، ورفضوا تجارته، وربطوا قدميه، وضربوه ضرباً أليما، وبعد عشرة أيام أفلت من رباطه، وهرب إلى مصر، وما هي إلّا مدّة وجيزة وطرده المصريون، فسار إلى الحجاز واستقر في مكة، وأخذ يشعوذ فيها باسم الدين فاكتشفه أهالي مكة فطردوه، فسار إلى المدينة المنورة، لكنهم أيضا طردوه.
كل ذلك في مدّة لا تتجاوز الأربع سنوات، فغادر إلى نجد واستقر في بلدة اسمها العيينة، وهناك وجد مجالا خصباً للشعوذة، فاستقر بنجد وادَّعى أنّه من سلالة ربيعة، وأنّه سافر به والده صغيراً إلى المغرب العربي[٣].
٣- الشيخ عبد الله الفيلبي هو الكولونيل هاري جون سانت فيلبي ولد في٣ أبريل ١٨٨٥ في جزيرة سيلان (سريلانكا)، وانتقل مع أبيه إلى بريطانيا سنة١٨٩١ وأكمل دراسته في جامعة كامبردج سنة ١٩٠٧، ثم درس التاريخ والقانون الهندي، وتعلم اللغات الفرنسية والألمانية والهندستانية والفارسية والعربية، وعاد إلى الشرق ضمن أفواج المخابرات البريطانية، أمثال كتشنر ولورنس ومكماهون ، وكواستغفر الله ومس بل وكلايتون، وغلوب وولسون وغيرهم، يقول فيلبي (بعد أن يئسنا من الحسين حركنا جنود الإخوان بقيادة خالد بن لؤي وفيصل الدويش وسلطان بن بجاد لسفك دماء غزيرة في الطائف

١. علماء نجد خلال ستة قرون للبسام:ج ١، ص٢٦.
٢. روضة الأفكار لابن غنام: ج١، ص٢٥.
٣. الفرقة الوهابية في خدمة من؟ للسيد أبو العلى التقوي: ٢٩.

لتوقع الرعب في قلوب الحجازيين: البادية والحاضرة، ونوفر بها على بقية المدن الحجازية دماء أخرى إن أمكن الأمر، وإلّا فإنّ دماء غزيرة لابدّ من إراقتها لأنّ الإنجليز قرروا إسقاط حكم الشريف حسين بأي ثمن بعد أن رفض الأمر والطلبات بإعطاء فلسطين لليهود المشردين المساكين، وبعد أن رفض الحسين ما عرضناه عليه بأن يكتفي بالحجاز وحده، وأن يغير وجهة نظره في توحيد البلاد العربية كلّها تحت حكمه[1].

ثالثاً: موقف المسلمين من الشيعة والوهابية عندما براجع التاريخ الإسلامي برى بكل وضوح أنّ ما قامت به الفرقة الوهابية من سفك لدماء المسلمين في كافة بلاد الوطن العربي، بل تعدت ذلك إلى البلدان الإسلامية الأخرى، يعرف جيداً موقف الأمة الإسلامية وبالخصوص العلماء من هذه الفرقة المنحرفة، بينما ترى في الجانب الأخر أنّ هناك فتاوى تجوز التعبد بمذهب أهل البيت (ع) الذي تتبناه الشيعة الإماميّة.

وإليك بعض الكتب التي وردت في الرد على الوهابية من العامة:

١- الأوراق البغدادية للشيخ إبراهيم الراوي.

٢- الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق لجميل صدقي أفندي الزهاوي.

٣- صلح الإخوان و المنحة الوهبية للشيخ داود النقشبندي البغدادي المتوفى (١٢٩٩).

٤- الصواعق الآلهية للشيخ سليمان بن عبد الوهاب، أخ محمّد بن عبد الوهاب النجدي إمام مذهبهم، اسمه، طبع بمصر (١٣٠٦) .

٥- الأصول الأربعة في ترديد الوهابية، للإمام النعمان حضرة الحاج محمّد حسن جان.

وقد لقبهم كبار العلماء بالخوارج فهذا الشيخ سليمان الأخ الأكبر لمحمّد بن عبد الوهاب يقول في كتابه المتقدم: ابتلي الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنّة ويستنبط من علومهما ولا يبالي من خالفه. وإذا طلبت منه أن تعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل بل يوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه و من خالفه فهو عنده كافر. هذا

[1]. تاريخ آل سعود، ناصر السعيد: ٣٥٩.

وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال الاجتهاد، و لا والله و لا عُشر واحدة، ومع ذلك راج كلامه على كثير من الجهال[1] ويستدل على أنّ أتباع أخيه هم الخوارج عن الدين ثم يخاطب ذلك الأخ الضال (فانظر رحمك الله إلى طريقة أصحاب رسول الله في الإحجام عن تكفير من يدَّعي الإسلام هذا وهم الصحابة الذين يروون الأحاديث عن رسول الله (ص) فانظر إلى هدي أصحاب رسول الله (ص) وأئمّة المسلمين لعل الله يهديك إلى أتباع سبيل المؤمنين، وينبهك من هذه البلية التي تزعمون الآن إنها السنة[2].

وقال ابن عساكر:

إنّ جماعة من الحشوية الأوباش الرعاع المتوسمين بالحنبلية أظهروا ببغداد من البدع الفظيعة والمخازي الشنيعة ما لم يسمح به ملحد فضلاً عن موحِّد، ولا تجوّز به قادح في أصل الشريعة ولا معطِّل، ونسبوا كلَّ من ينزهُ الباري تعالى وجل عن النقائص والآفات وينفي عنه الحلول والتشبيهات ... إلى الكفر والطغيان، و منافاة أهل الحق والإيمان وثلبِ أهل الحق وعصابة الدين، ولعنِهم في الجوامع والمشاهد والمحافل والمساجد والأسواق والطرقات؛ ثم غرَّهم الطمع والإهمال ومدّهم في طغيانهم الغيِّ والضلال[3].

وقال ابن حجر الهيثمي:

وإيّاك أن تصغي إلى ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وغيرهما ممن اتخذ إلهه هواه، وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، فمن يهديه من بعد الله، وكيف تجاوز هؤلاء

١. الصواعق الآلهية: ٢٥-٢٦.

٢. الصواعق الآلهية: ٤٥.

٣. تبيين كذب المفتري، لابن عساكر: ٣١٠

الملحدون الحدود وتعدوا الرسوم وخرقوا سياج الشريعة و الحقيقة فظنوا بذلك أنّهم على هدى من ربهم[1].

وقال احمد بن زيني:

أمّا عن الوهابية، نابتة الحشوية الحديثة فإن ابن عبد الوهاب بعث علماءه لمناظرة علماء مكة والمدينة (فلما و صلوا إلى الحرمين وذكروا لعلماء الحرمين عقائدهم و ما تمسكوا به، رد عليهم علماء الحرمين، وأقاموا عليهم الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها، وتحقق لعلماء الحرمين جهلهم و ضلالهم ووجدوهم مسخرة، كحمر مستنفرة فرت من قسورة، ونظروا إلى عقائدهم فوجدوها مشتملة على كثير من المكفرات فبعد أن أقاموا البرهان عليهم كتبوا عليهم حجّة عند قاضي الشرع بمكة تتضمن الحكم بكفرهم[2].

ويقول عنهم سلامة القضاعي الشافعي: واستغل أوّلئك النفر جهل كثير من أهل العصر بتاريخ هذه الفرقة الجاهلة، فأوهموا الناس أنّهم يمثلون السلف الصالح من الصحابة و من بعدهم من التابعين لهم بإحسان، والتاريخ يشهد والعلم بكتاب الله ينادي أنّهم ما مثّلوا إلّا سلف سوء من أشياخ المشبِّهة وأئمّة المجسمة، الذين يفسّرون الكتاب بأهوائهم، ويحملون السنّة على آرائهم، ويتقولون على معاني كتاب الله، ويضعون على رسول الله، ويأخذون بالضعيف إذا وافق منهم هوى، ويردون الصحيح أو يشككون في صحته إذا كان حجة عليهم[3].

رابعاً: نتيجة البحث بعدما قدمنا من تاريخ وإطلالة على مذهب الشيعة والفرقة الوهابية يظهر جلياً لمن كان عنده مسكه أنّ المذهب الذي يستقي من السنّة المحمّدية الأصيعة ويجعل كلام الله هو الفاصل بين الحق والباطل و أنّ ما من رواية صحيحة إلا إذا وافقت

---

١. الفتاوى الحديثية: ٢٠٣.

٢. فتنة الوهابية، أحمد بن زيني دحلان: ٣.

٣. فرقان القرآن بين صفات الخالق و صفات الأكوان: ١٥.

القرآن الكريم وأنّ منبع وأساس هذه الفرقة هم أهل بيت النبوّة الذين أوصى بهم القرّان ثم النبي الخاتم (ص) والمتمثلة بالمذهب الإمامي هم الأصل والحق عندهم.

بينما ترى أنّ مَن يعتبر الروايات التي في البخاري ومسلم بمستوى واحد مع القرّان، بل وإذا لم يجد نص اجتهد برأيه، ويقوم مذهبه على سفك الدماء وتكفير المسلمين، ولم يتصل بالنبي الخاتم (ص) كما رأينا ذلك ممّا مرّ، أضف إلى ذلك أنّ هذه الفرقة نشأت من بين أحضان الاستعمار البريطاني كما أوضحنا سابقاً وكما نطالع في كتاب مذكرات المستر همفر.

كل ذلك يثبت نتيجة واحدة وهي أن المختلق هم الفرقة الوهابية وهي فرقة منبوذة بين المسلمين كافّة، إلّا أنّ البعض يجاريهم خوف القتل والتدمير لأنّه دينهم وديدنهم.